

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(المُحَاضِرَةُ السَّادِسَةُ)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ]

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]

العقيدة الصحيحة في الصفات تنتج عملاً

قَالَ: كَمَا قَالَ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَشَيْخُهُ رَبِيعَةُ وَهُوَ ثَابِتٌ عَنْهُمَا وَصَحِيحٌ، لَمَّا سَأَلَ بَعْضُ الْمُبْتَدِعَةِ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. كَيْفَ اسْتَوَى؟ يَعْنِي الْكَيْفِيَّةَ، لَوْ قَالَ لِمَالِكٍ: مَا مَعْنَى اسْتَوَى؟ لَقَالَ لَهُ: الْإِسْتِوَاءُ فِي اللُّغَةِ مَعْنَاهُ كَذَا وَكَذَا، وَكَذَا وَكَذَا، وَهِيَ الْمَعْنَى الْأَرْبَعُ لِكَلِمَةِ الْإِسْتِوَاءِ فِي اللُّغَةِ الشَّرِيفَةِ.

لَقَالَ لَهُ، وَقَالَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَمَنْعُضٌ عِلْمَهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

لَوْ سَأَلَ عَنِ الْمَعْنَى، وَلَكِنْ سَأَلَ الْمُبْتَدِعُ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ، قَالَ: كَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ لَهُ: الْإِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، الْإِسْتِوَاءُ: الْعُلُوُّ، الْارْتِفَاعُ، الصُّعُودُ، الْإِسْتِقْرَارُ. هَذَا مَعْنَى الْإِسْتِوَاءِ فِي اللُّغَةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ، وَنَطَقَ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ قَالَ: الْإِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدَعَةٌ، ثُمَّ عَنِّي وَأَمَرَ بِهِ فَطُرِدَ.

السُّؤَالُ عَنِ كَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ لَا عَنِ الصِّفَةِ وَلَا مَعْنَاهَا، لَا بُدَّ أَنْ تَفْهَمَ الْمَعْنَى،

وَالْإِلَّا فَانْتِ تَخَاطَبُ بِمَا لَا مَعْنَى لَهُ -عِنْدَكَ عَلَى الْأَقْل-، وَتَكُونُ الْحِكْمَةُ هَاهُنَا مُغَيَّبَةً، مَا الْحِكْمَةُ فِي أَنْ أَكَلَّفَ بِالْإِيمَانِ بِمَا لَا مَعْنَى لَهُ عِنْدِي؟
أَلَيْسَ كُلُّ مُسْلِمٍ بِمُكَلَّفٍ أَنْ يُؤْمِنَ أَنَّ الرَّحْمَنَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى؟
مُكَلَّفٌ أَوْ غَيْرُ مُكَلَّفٍ؟
مُكَلَّفٌ.

مَنْ قَالَ: أَنَا غَيْرُ مُكَلَّفٍ بِالْإِيمَانِ بِأَنَّ الرَّحْمَنَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى كَفَرَ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّهُ غَيْرُ مُكَلَّفٍ بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ.

فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ صَرِيحَةً أَنَّ اللَّهَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: أَنَا غَيْرُ مُكَلَّفٍ بِالْإِيمَانِ بِهَذَا فَلَا كَلَامَ لَنَا مَعَهُ، أَمَّا إِذَا قَالَ: أَنَا مُكَلَّفٌ بِهِ نَقُولُ: لَا مَعْنَى لَهُ.

هَذَا يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ؟

بَلْ كَيْفَ نَقُولُ لِلْعَالَمِ: دِينُنَا دِينُ الْعَقْلِ، دِينُ الْحِكْمَةِ، وَيَقُولُ: عِنْدَكُمْ فِي كِتَابِكُمْ نُصُوصُ الصِّفَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِرَبِّكُمْ وَلَيْسَ لَهَا مَعْنَى؟

فِي أَشْرَفِ مَوْضِعٍ، وَأَعْظَمِ مَوْضِعٍ، فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا بِاللَّهِ وَجَلَّ، فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ يَقُولُونَ: لَيْسَ لَهَا مَعْنَى، فَلِمَاذَا أَنْزَلَهَا إِذَنْ؟

يَقُولُ: مِنْ أَجْلِ أَنْ يَخْتَبِرَكَ، لَوْ جَعَلْتَ لَهَا مَعْنَى كَفَرْتَ.

دِينُ الرَّحْمَةِ.. نَقُولُ لِلنَّاسِ حَيْثُ نَزَلَتْ: هَذَا دِينُ الرَّحْمَةِ؟

وَهُوَ يَأْمُرُنَا بِأَنْ نُؤْمِنَ بِأُمُورٍ لَا مَعْنَى لَهَا؟

وَإِذَا أَثْبَتْنَا لَهَا مَعْنَى عَلَى حَسَبِ اللُّغَةِ الَّتِي أُنْزِلَ بِهَا هَذَا الْكَلَامُ عَلَى حَسَبِ اللُّغَةِ، لَمْ نُبْعِدْ، وَلَمْ نَسْتَطْطِ، وَلَا شَيْءَ، يَقُولُ: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى.. يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، يَقُولُ: إِنْ آمَنْتَ بِهَذَا عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهِ اللُّغَةُ كَفَرْتَ.

تَقُولُ: كَيْفَ؟ نَزُولٌ لِلَّهِ، فَهُوَ لِلَّهِ، كَمَا يَقُولُ: ذَاتُ اللَّهِ.. ذَاتُ هِيَ اللَّهُ، فَذَاتُ اللَّهِ لَيْسَ كَمِثْلِهَا ذَاتٌ، نَزُولُ اللَّهِ نَزُولٌ لِلَّهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ نَزُولٌ، اسْتِوَاءٌ لِلَّهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ اسْتِوَاءٌ، وَقَسٌّ عَلَى ذَلِكَ.

فَكَانَ مَاذَا؟ نُؤْمِنُ بِمَا كَلَّفَنَا اللَّهُ بِهِ، وَهَذَا هُوَ حَقُّ الْإِيمَانِ.

فَأَمَّا إِذَا آمَنْتَ بِهِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ الَّذِي آمَنَ بِهِ الرَّسُولُ، وَآمَنَ بِهِ الصَّحَابَةُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَشْكِلُوا قَطُّ فِيهِ - يَعْنِي لَمْ يَقُولُوا قَطُّ، وَهُمْ أَهْلُ اللُّغَةِ أَصْحَابُ السَّلِيْقَةِ اللُّغَوِيَّةِ - لَمْ يَقُلْ قَائِلٌ مِنْهُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ قَضِيَّةِ النُّزُولِ هَذِهِ، فَانْتَ تَقُولُ: يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا - يَعْنِي أَلَا يَكُونُ هَذَا فِيهِ انْتِقَاصٌ، حَاشَا لِلَّهِ، بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - قَالُوا ذَلِكَ لِلرَّسُولِ؟

عِنْدَهُمْ إِجْمَاعٌ سُكُوتِيٌّ، وَلَا صَاحِبَ وَرَدَ عَنْهُ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ، وَلَا صَحِيحٍ لِغَيْرِهِ، وَلَا حَسَنٍ لِدَاتِهِ وَلَا حَسَنٍ لِغَيْرِهِ، وَلَا ضَعِيفٍ، وَلَا مَوْضُوعٍ

مَكْذُوبٍ، لَمْ يَرِدْ أَبَدًا حَدِيثٌ - وَلَا مَكْذُوبٌ - أَنَّ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ اسْتَشْكَلَ فِي مَعْنَى مَا نَطَقَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا.

الصَّحَابِيُّ الَّذِي قَالَ لِلرَّسُولِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوْ يَضْحَكُ رَبُّنَا؟!

كَانَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِثْبَاتِ لَا عَنِ الْكَيْفِيَّةِ.

قَالَ: أَوْ يَضْحَكُ رَبُّنَا؟!

إِذَنْ: هُوَ لَهُ عِلْمٌ بِمَعْنَى الضَّحِكِ فَسَأَلَ هَلْ أُثْبِتُ هَذَا الْمَعْنَى.. الْمَعْنَى لِلَّهِ

عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ؟

لِأَنَّهُ يَقُولُ: رَبُّنَا.

رَبُّنَا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

فَيَقُولُ: أَوْ يَضْحَكُ رَبُّنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: لَا نَعْدِمُ مِنْ رَبِّ يَضْحَكُ خَيْرًا.

يُرِيدُ أَنْ يُثْبِتَ فَقَطُّ.

لَا سَأَلَ عَنِ مَعْنَى، وَلَا عَنِ كَيْفِيَّةِ، وَلَا عَنِ شَيْءٍ.. الْمَعْنَى مَكْشُوفٌ عِنْدَهُ

وَلَا حَدِيثٍ مَوْضُوعٍ!!

فَالصَّحَابَةُ عِنْدَهُمْ مَا يُقَالُ لَهُ - أَحْفَظُ هَذَا الْمُصْطَلَحَ -: الإِجْمَاعُ السُّكُوتِيُّ.

لِأَنَّهُمْ مَرَّتْ عَلَيْهِمُ النُّصُوصُ هُمُ الَّذِينَ نَقَلُوهَا، يَعْنِي: مِنْ أَيْنَ جَاءَنَا آيَاتُ

رَبِّنَا الَّتِي أَوْحَاهَا اللَّهُ إِلَيْنَا؟

عَنِ الصَّحَابَةِ.. الصَّحَابَةُ أَخَذُوا عَنِ النَّبِيِّ.. وَالتَّابِعُونَ أَخَذُوا عَنِ الصَّحَابَةِ،

وَتَابِعُوا التَّابِعِينَ أَخَذُوا عَنِ التَّابِعِينَ، وَتَبَعَ الْأَتْبَاعُ أَخَذُوا عَنِ اتَّبَاعِ التَّابِعِينَ، وَالْأُمَّةُ

أَخَذُوا عَمَّنْ قَبْلَهُمْ، وَهَكَذَا فِي سِلْسِلَةٍ لِلتَّلَقِّي شَرِيفَةٍ تَنْتَهِي إِلَى رَبِّ الْعِزَّةِ.. إِلَى

الصَّحَابَةِ.. إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ إِلَى رَبِّ الْعِزَّةِ بِأَعْلَى إِسْنَادٍ قَطُّ.

فَالْقُرْآنُ أَتَانَا عَنْ طَرِيقِ الصَّحَابَةِ، وَالْأَحَادِيثُ -أَيْضًا- مِنَ الَّذِي نَقَلَ

الْأَحَادِيثُ؟

هَلْ هُنَاكَ فَجْوَةٌ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ لَمْ تُشْغَلْ بِأَصْحَابِ رَسُولِ

اللَّهِ ﷺ فَلَمْ تَمُرَّ عَلَيْهِمْ أَحَادِيثُ الصِّفَاتِ هُمُ الَّذِينَ نَقَلُوهَا، فَنَقَلُوهَا إِلَيْنَا الْآيَاتِ

وَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالصِّفَاتِ، وَالْأَحَادِيثُ وَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالصِّفَاتِ، نَقَلُوهَا لَنَا ذَلِكَ.

وَلَمْ يُنْقَلْ قَطُّ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَلَا فِي حَدِيثٍ مَكْذُوبٍ مَوْضُوعٍ أَنَّهُ

اسْتَشْكَلَ فِي الْمَعْنَى -وَهُمْ أَصْحَابُ اللُّغَةِ.. هُمْ أَصْحَابُ السَّلِيْقَةِ اللُّغَوِيَّةِ-

لَا قَالُوا مَرَّةً: كَيْفَ يَسْتَوِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَلَا كَيْفَ يَنْزِلُ؟ وَلَا كَيْفَ

يَضْحَكُ؟ وَلَا شَيْءَ.

وَالَّذِي سَأَلَ.. سَأَلَ عَنِ الْإِثْبَاتِ فَقَطُ: أَوْ يَضْحَكُ رَبَّنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: إِذْنٌ لَا نَعْدِمُ مِنْ رَبِّ يَضْحَكُ خَيْرًا، فَاسْتَبَشَرَ بِضَحِكِ اللَّهِ. وَهِيَ صِفَةٌ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

لَمَّا سَمِعُوا وَنَقَلُوا: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، هَلْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُبِّتُ هَذَا لِلَّهِ؟

لَمْ يَقُولُوا؛ لِأَنََّّهُمْ أَعْقَلُ مِنْ هَذَا وَأَعْلَى.

يَقُولُونَ لِلرَّسُولِ ﷺ: أُنْبِتُ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ؟ أَمْ أَعْلَمُ بِاللَّهِ مِنَ اللَّهِ؟ وَهُوَ الَّذِي بَلَّغَ ﷺ أَمْ أَعْلَمُ بِاللَّهِ مِنَ رَسُولِ اللَّهِ؟

مَا هَذِهِ الْفَوْضَى الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا؟! مَا هَذَا الْهَرْجُ؟! مَا هَذَا السَّفَهُ؟! مَا هَذَا السُّخْفُ؟!



الإجماع السُّكُوتِيُّ عَلَى إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ لِلَّهِ تَعَالَى

الإجماعُ السُّكُوتِيُّ: أَنَّهُمْ جَمِيعًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَرَّتْ عَلَيْهِمْ، وَنَقَلُوا نُصُوصَ الصِّفَاتِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَمْ يَتَوَقَّفُوا، وَالسَّلِيْقَةُ اللُّغَوِيَّةُ عِنْدَهُمْ. إِذَنْ، هُمْ فَهَمُّوا الْمَعَانِي؛ لِأَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ عَمَّا لَا يَفْهَمُونَهُ.

عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] فَسَرَّهَا نَفْسِيرًا، وَأَتَى بِعِقَالٍ أَبْيَضٍ وَعِقَالٍ أَسْوَدَ، وَأَخَذَ يَنْظُرُ فِي هَذَا، وَيَنْظُرُ فِي هَذَا حَتَّى طَلَعَ النَّهَارُ، فَكَفَّ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، قَبْلَ ذَلِكَ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ.

فَلَمَّا نَقَلَ ذَلِكَ - أَوْ نَقَلَ - إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَحَّحَ فِي حُكْمِ فَهْمِي، فَكَيْفَ بَدَاتِ اللَّهُ وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ؟! لَوْ وَقَعَ خَلْلٌ لَصَحَّحَ، لَوْ خِيفَ مِنْ اشْتِبَاهِ لَبَيَّنَ الْأَمْرَ وَفُسِّرَ، وَلَكِنْ لَا اشْتِبَاهَ هُنَالِكَ عَلَى حَسَبِ السَّلِيْقَةِ اللُّغَوِيَّةِ، وَالْغَرِيْزَةُ الْفِطْرِيَّةُ اللُّغَوِيَّةُ عِنْدَ كُلِّ نَاطِقٍ بِلُغَةٍ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ فِي جَمِيعِ الْأَجْيَالِ وَالْأَمْصَارِ وَالْأَعْصَارِ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، فَمَا الْحَاجَةُ هُنَا إِلَى الْبَيَانِ أَوْ التَّفْسِيرِ أَوْ التَّحْذِيرِ؟

هَذَا غَيْرُ وَارِدٍ، فَلَمَّا جَاءَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِنَا وَتُرْجِمَتِ الْعُلُومُ وَالْفَلْسَفَاتُ وَالْمَنْطِقُ وَغَيْرُ ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا الْبَلَاءُ، أَمَّا عِنْدَنَا فِي الْأَصْلِ فَلَا شَيْءَ مِنْ هَذَا.

فَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ يُصَحِّحُ فِي الْأُمُورِ الدَّقِيقَةِ وَالصَّغِيرَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأُمُورِ
الْإِعْتِقَادِ، عِنْدَمَا قَالَ الْقَائِلُ: «مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ» لَمْ يَتْرُكْهَا.. لَا.

بَلْ إِنَّ الْخَطِيبَ الَّذِي قَامَ يَخْطُبُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ: مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ
رَشِدَ، وَمَنْ يَعْصِيهِمَا فَقَدْ غَوَى.

قَالَ: «بِئْسَ خَطِيبُ الْقَوْمِ أَنْتَ».

وَأَنْتَ تَعْرِفُ نَبِيَّكَ.. تَعْرِفُ رَحْمَتَهُ وَشَفَقَتَهُ وَحِلْمَهُ، وَأَنْتَ لَا يُجِبُّهُ أَحَدًا مَا
يَكْرَهُ إِلَّا إِذَا كَانَ الْأَمْرُ مُسْتَحِقًّا لِذَلِكَ فَذَمُّهُ، هَذَا أَسْلُوبُ ذَمِّ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ، قَالَ:
«بِئْسَ خَطِيبُ الْقَوْمِ أَنْتَ»، هَذِهِ صَيْغَةٌ إِذَا رَجَعْتَ إِلَى كَلَامِ الْبَلَغِيِّينَ فِيهَا
لَوْجَدْتَ فِيهَا شَدِيدًا مِنَ الذَّمِّ، وَجَدْتَ فِيهَا أَمْرًا شَدِيدًا مِنَ الذَّمِّ، «بِئْسَ خَطِيبُ
الْقَوْمِ أَنْتَ»؛ لِأَنَّهُ قَالَ: وَمَنْ يَعْصِيهِمَا فَقَدْ غَوَى مَعَ أَنَّ التَّشْبِيهَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ لَهَا
مَوَاضِعٌ أُخْرَى، وَلَكِنْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كَانَ شَيْءٌ، فَذَمُّهُ هَكَذَا عَلَى الْمَلَأِ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ مَا كَانَ يَتْرُكُ شَيْئًا يَقُولُ الْقَائِلُ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ.

قَالَ: «جَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟!».

هَذَا تَنْدِيدٌ فَهُوَ يَخُوفُهُ وَيَحْذَرُهُ مِنْهُ، يَقُولُ: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟»

كَيْفَ؟

لِلْوَاوِ، ثُمَّ يُرْشَدُ بِاسْتِخْدَامِ (ثُمَّ) بَدَلًا مِنَ الْوَاوِ.

إِصْلَاحُ الْعَقِيدَةِ ضَرُورَةٌ مُلِحَّةٌ

الْأَمْرُ جِدٌّ لَا هَزْلَ فِيهِ، الْوَاحِدُ مِمَّا إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحَسِّنَ دَخَلَهُ سَافَرَ إِلَى أَقْصَى
الْبِلَادِ، وَتَغَرَّبَ وَتَرَكَ امْرَأَتَهُ وَأَوْلَادَهُ وَحَالَهُ وَمَالَهُ عَلَى خَطْبٍ مَا يُمَكِّنُ أَنْ
يُصَابَ هَوْلًا جَمِيعًا بِهِ فِي غِيَابِهِ، وَأَكْثَرُهُمْ عِنْدَمَا يَذْهَبُ وَيُفْنِي سَنَوَاتِ عُمُرِهِ
وَشَبَابَهُ فِي تَحْصِيلِ الْمَالِ وَجَمْعِهِ، يَرْجِعُ فَلَا يَجِدُ إِلَّا مَا يَبْكِي عَلَيْهِ دَمًا، لَا تَرَبَّى
ابْنٌ عَلَى حَقٍّ، وَلَا صِينَ بَيْتٍ، وَلَا اسْتَقَامَتْ أُمُورٌ، وَيَأْتِي بِالْمَالِ مِنْ أَجْلِ أَنْ
يَجْعَلَهُ فِي يَدِ مَنْ يُبَدِّدُهُ فِي سَفَاهَةٍ، فَمَاذَا صَنَعَ؟

وَهَذَا مِنْ أَجْلِ شَيْءٍ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَالْجَنَّةُ لَا تُرِيدُ أَنْ تَبْدُلَ
لِدُخُولِهَا وَتَحْصِيلِهَا أَيَّ مَشَقَّةٍ، هَذَا عَقْلٌ!؟

سَلْعَةُ اللَّهِ غَالِيَةٌ.. سَلْعَةُ اللَّهِ الْجَنَّةُ، الْإِنْسَانُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ عَجَلًا فِيمَا
يَطْلُبُ، وَأَنْ يَكُونَ مَوْضُوعِيًّا مَنْطِقِيًّا مُنْصَفًا، أَنْتَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا مِنْ أَجْلِ أَنْ
تَرْتَقِيَ تُضَيِّعُ سَنَوَاتِ الْعُمُرِ، وَبِالْأَخْصِ تُضَيِّعُ سَنَوَاتِ الشَّبَابِ حَتَّى إِذَا مَا
حَصَلَتْ الْمَالُ، لَمْ تَجِدْ صِحَّةً تَسْمَحُ بِطَعَامٍ وَلَا شَرَابٍ وَلَا شَهْوَةٍ، وَإِنَّمَا تُنْفِقُ مَا
حَصَلَتْ مِنْ أَجْلِ أَنْ تُدَاوِيَ جَسَدًا عَلِيًّا وَجِسْمًا مَرِيضًا، وَتَسُدُّ ثَغْرَاتٍ وَقَعَتْ
فِي بَيْتِ غَابَ عَنْهُ عَائِلُهُ، فَمَاذَا صَنَعْتَ؟

لَا شَيْءَ، أَمَّا الْجَنَّةُ عَرَضُهَا كَعَرَضِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.. فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، يَقُولُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ»، وَأَنْتَ تَقُولُ: مَا فِي هَذَا؟

أَيُّ شَيْءٍ!! لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ!!

أَنْتُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ مُعَقِّدُونَ مُتَزَمِّتُونَ مُتَشَدِّدُونَ، نَحْنُ الَّذِينَ قُلْنَا؟! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا قُلْنَا لَهُمْ ذَلِكَ قَالُوا: لَمْ يَقُلْهُ.

نَقُولُ: فِي الْبُخَارِيِّ.. فِي مُسْلِمٍ.

مَثَلًا يَقُولُونَ: وَمَا الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ؟

نَقُولُ: نَقَلَهُ الصَّحَابَةُ.

يَقُولُ: مَنْ الصَّحَابَةُ هُوَ لَأَمْ؟

لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَطْعَنُوا فِي رَسُولِ اللَّهِ.

فَأَنْتَ تُرِيدُ الْجَنَّةَ الَّتِي عَرَضُهَا كَعَرَضِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.

تُرِيدُ أَنْ تَتَمَتَّعَ بِلَذَّةِ النَّظَرِ فِي وَجْهِ رَبِّكَ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا؟

اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.. نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ عَنَّا أَجْمَعِينَ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ بَدْلِ الْمَجْهُودِ، وَأَنْ تَتَعَلَّمَ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَعْمَلَ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلَ.

نَحْنُ فِي مُجْتَمَعَاتٍ فِيهَا فَوْضَى عِلْمِيَّةٌ كُلُّ مَنْ مَلَكَ لِسَانًا يَتَكَلَّمُ، وَلَا يُكَلِّفُ
نَفْسَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِعِلْمٍ، لَا يَتَوَرَّعُ أَحَدٌ عَنِ الْكَلَامِ فِي شَيْءٍ حَتَّى فِي ذَاتِ اللَّهِ
جَلَّ وَعَلَا تَكَلَّمُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَظَنُّوا أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَابًا مَفْتُوحًا
يَلِجُهُ كُلُّ دَاخِلٍ، كُلُّ وَالِجٍ؛ فَاتَّوَا بِأَقْوَامٍ مِنْ أَهْلِ الْفَنِّ، مِنْ أَهْلِ الْغِنَاءِ، مِنْ
أَهْلِ اللَّعِبِ، مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ، بَلْ اتَّوَا بِالْعُلَمَائِيِّينَ؛ لِيُعَلِّمُوا الْمُسْلِمِينَ دِينَ
رَبِّ الْعَالَمِينَ!

وَالْعَوَامُّ مَسَاكِينُ، جَمَاهِيرُ أُمَّتِنَا جَمَاهِيرُ مِسْكِينَةٍ تَحْتَاجُ مَنْ يَأْخُذُ بِيَدَيْهَا،
أَنَا أَحْتَرِمُ هَؤُلَاءِ الْعَوَامَّ فِي زَاوِيَةِ مَا أَنَّهُمْ مَعَ قَسْوَةِ الْهَجْمَةِ فِي الْغَزْوَةِ الْفِكْرِيَّةِ
وَالْعَقْدِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ عَلَيْهِمْ مَا زَالُوا إِلَى الْيَوْمِ ثَابِتِينَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الثَّبَاتِ، لَوْ
كَانَ هَذَا فِي غَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، لَخَرَجَتْ جَمَاهِيرُهَا عَنْ دِينِ رَبِّهَا، أَوْ عَمَّا يُحَاوَلُ
أَنْ يُخْرَجَ عَنْهُ، وَلَكِنْ لِأَنَّهُ دِينُ اللَّهِ، وَاللَّهُ حَافِظُهُ وَرَاعِيهِ، فَمَا يَزَالُ الْعَوَامُّ إِلَى
يَوْمِ النَّاسِ هَذَا مَعَ كَثْرَةِ الشُّبُهَاتِ صَبَاحَ مَسَاءً.. طَعْنٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ فِي
الْقُرْآنِ.. فِي النَّبِيِّ.. فِي الصَّحَابَةِ.. فِي التَّابِعِينَ.. فِي الْعُلَمَاءِ.. فِي الْحَدِيثِ..
فِي السُّنَّةِ.. فِي كُلِّ شَيْءٍ!!

وَهَؤُلَاءِ مَسَاكِينُ، مَا ذَنْبُ هَذَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَجْلِسَ بَعْدَ نَهَارٍ طَوِيلٍ مِنْ
الْكَدْحِ؛ لِكَيْ يُشَاهِدَ مَنْ فَرَضَ عَلَيْهِ لِيُضَلِّلَهُ؟

يُزَيِّعُهُ عَنِ الْحَقِّ وَعَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، يَجْعَلُهُ مُلْحِدًا كَافِرًا شَاكًا؟

وَأَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ لَا يُرِيدُونَ الْمُسْلِمِينَ لَا نَصَارَى وَلَا يَهُودًا، هُمْ يُرِيدُونَ
الْمُسْلِمِينَ لَا نَصَارَى وَلَا يَهُودًا وَلَا مُسْلِمِينَ، لَا بُدَّ أَنْ تَفْهَمَ هَدَفَهُمْ هُوَ: لَا يُرِيدُ
الْمُسْلِمَ مُسْلِمًا، لَا يُرِيدُ الْمُسْلِمَ مُسْلِمًا؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمَ لَوْ كَانَ مُسْلِمًا لَا يَفِئُ فِي
وَجْهِهِ شَيْءٌ.

عَقِيدَتُهُ هِيَ الْعَقِيدَةُ.

ثَبَاتُهُ هُوَ الثَّبَاتُ.

دِينُهُ هُوَ دِينُهُ.

اعْتِقَادُهُ هُوَ اعْتِقَادُهُ.

وَأَمَّا إِذَا مَا زُحِرَ عَنْ هَذَا الْمَكَانِ الثَّابِتِ فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ، اغْسِلْ يَدَيْكَ مِنْهُ،
لَا أَقُولُ لَكَ: كَبُرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا؛ لِأَنَّهُ زُحِرَ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَهُمْ يُرِيدُونَ الْمُسْلِمِينَ لَا
مُسْلِمِينَ وَلَا نَصَارَى وَلَا يَهُودًا، وَلَا أَيَّ شَيْءٍ، غُثَاءً لَيْسَتْ لَهُ قِيَمَةٌ، لَا يَرْجِعُ
لِقَاعِدَةٍ، وَلَا يُؤْمِنُ بِمَبْدَأٍ، وَلَا يَنْتَهِي بِقَلْبِهِ إِلَى مُعْتَقَدٍ.

يُرِيدُهُمْ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، كَمَا حَدَرَ مِنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا تَرَى
بَوَادِرَ ذَلِكَ فِي الْأُمَّةِ الْيَوْمَ، فَالْجَمَاهِيرُ هَمَّهَا فِي فَرْجٍ وَبَطْنٍ، فِي اقْتِنَاءٍ وَحِقْدٍ،
وَلَا يَصْبِرُ أَحَدٌ أَنْ يَرَى نِعْمَةً أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكَ عَلَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَا يَهْدَأُ، لَا يَقَرُّ
لَهُ قَرَارٌ، الْحِقْدُ الْقُوَّةُ الدَّافِعَةُ الْيَوْمَ بَعْدَ الثَّوْرَةِ الْمَاسُونِيَّةِ الَّتِي غَلَبَتْ عَلَى
جَمَاهِيرِ النَّاسِ.

النَّاسُ الْآنَ يَتَحَرَّكُونَ بِقُوَّةِ الْحَقِّدِ، النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يُشَدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا».

النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ».

هَذِهِ حُقُوقُ أَحَقَّهَا اللهُ ﷻ لِأَخِيكَ، أَنْتَ لَا تَأْتِي بِهَا طَوْعًا وَنَفْلًا مِنْ عِنْدِكَ، هَذَا وَاجِبٌ عَلَيْكَ إِنْ قَصَّرْتَ فِيهِ عَوْقِبْتَ، هَذَا وَاجِبٌ عَلَيْكَ كَمَا أَوْجَبَ عَلَيْكَ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالْحَجَّ وَالصِّيَامَ، أَوْجَبَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْحُقُوقَ لِأَخِيكَ الْمُسْلِمِ، فَالَّذِي يَغْلِبُ الْيَوْمَ عَلَى الْجَمَاهِيرِ الْمُسْلِمَةِ فِي الدُّوَلِ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا الثَّوَرَاتُ الْمَاسُونِيَّةُ خَاصَّةً: قُوَّةُ الْحَقِّدِ الَّتِي تُحَرِّكُ النَّاسَ الْآنَ.

احْذَرْ هَذَا؛ أَنْ يَتَسَلَّلَ شَيْءٌ مِنْهُ إِلَى قَلْبِكَ، وَأَنْ يَنْطَرِّقَ أَثْرُ مِنْهُ عَلَى نَفْسِكَ، اتَّقِ اللهَ، وَاعْرِفْ حُقُوقَ إِخْوَانِكَ عَلَيْكَ، اتَّقِ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِي أُمَّتِهِ، إِذَنْ هُمْ لَا يُرِيدُونَكُمْ مُسْلِمِينَ، وَإِنْ انْتَسَبْتُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ظَاهِرًا، لَكِنْ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ تَنْتَسِبُونَ؟

هِيَ هَيْئَةُ ظَاهِرَةٌ؛ لِذَلِكَ تَجِدُ كَثِيرًا الْآنَ مِمَّنْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى الْهَدْيِ الظَّاهِرِ مَا حَالُهُمْ؟

حَالُهُمْ أَنَّهُمْ عَوَامٌّ بِمَا عَلَيْهِ الْعَوَامُّ، يَعْنِي كُلُّ دَخَلَ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الْهَدْيِ الظَّاهِرِ، وَأُمُورِ الْهَدَايَةِ الظَّاهِرَةِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِهِ، مِنْ تَرْبِيَّتِهِ،

مِنْ قَلَّةِ أَصْلِهِ، مَا شِئْتَ، فَدَخَلُوا بِذَلِكَ، وَجَعَلُوا لَهُ صِبْغَةً مِنَ الْهَدْيِ الظَّاهِرِ،
وَبَقُوا عَلَى مَا بَقُوا عَلَيْهِ فِي حَقِيقَتِهِ، فَصَارَ الْأَمْرُ مِنَ السُّوءِ فِي غَايَةٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ
يَفْعَلُ ذَلِكَ بَعِيدًا عَنِ الْهَدْيِ الظَّاهِرِ، فَيُنْكِرُ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَمْ يَهْتَدِ إِلَى الْحَقِّ، يَا
أَخِي اتَّقِ اللَّهَ!!

ابْعُدْ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ!!

النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: كَذَا، بَلِ اللَّهُ ﷻ قَالَ: كَذَا، يَرْجِعُونَهُ إِلَى شَيْءٍ، أَمَّا إِذَا أَخَذَ
الْهَدْيَ الظَّاهِرَ فإِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَرْجِعُونَهُ، هُمْ يُنْكِرُونَ عَلَيْهِ دِينَهُ، هُمْ لَا يَعْلَمُونَ
حَقِيقَةَ مَا هُوَ عَلَيْهِ دَخَلَ كَحَالِهِ، وَالْإِسْلَامُ يُغَيِّرُ.

الصَّحَابَةُ الْكِبَارُ الَّذِينَ لَمْ يَلْحَقْهُمْ أَحَدٌ بَعْدُ حَتَّى مِنْ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ
تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُمْ، هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةُ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، وَبَعْضُهُمْ
يَبْنِي الْبَنَاتِ، وَيَشْرَبُونَ الْخُمُورَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَلَيْسَ بَعْدَ الْكُفْرِ ذَنْبٌ، وَلَكِنْ
مَاذَا حَدَّثَ؟

تَغَيَّرُوا، الدِّينَ يُغَيِّرُكَ، تُرِيدُ أَنْتَ أَنْ تُغَيِّرَ الدِّينَ؟

يَعْنِي تُرِيدُ أَنْ تَدْخَلَ الدِّينَ بِمَا أَنْتَ عَلَيْهِ؛ لِيَصِيرَ الدِّينُ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، أَوْ مَا
كُنْتَ عَلَيْهِ، أَنْتَ تَعَكِّسُ مُرَادَ اللَّهِ ﷻ الشَّرْعِيَّ!!

الْأَصْلُ: أَنَّ الدِّينَ يُغَيِّرُكَ، الصَّحَابَةُ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، وَيَكْفُرُونَ بِاللَّهِ
جَلَّ وَعَلَا، وَيَتَقَاتِلُونَ عَلَى أَتَقَهُ شَيْءٍ، كَانُوا مِنَ الْعَرَبِ كَسَائِرِ الْعَرَبِ، هَدَاهُمُ اللَّهُ،

وَاخْتَارَهُمْ لِصْحَبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَكَانُوا أَشْرَفَ النَّاسِ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ
وَالْمُرْسَلِينَ مِنْ آدَمَ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.

أَشْرَفُ الْبَشَرِ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ أَصْحَابُ نَبِيِّنَا
الْكَرِيمِ، وَكَانُوا عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ الدِّينَ غَيْرُهُمْ، الدِّينُ يُعَيِّرُكَ، أَنْتَ
تَقُولُ: طَبْعِي هَكَذَا!

جامعة

مِنْهَاجُ النَّبِيِّ ﷺ

www.menhag-un.com

الدِّينُ يُغَيِّرُ الطَّبَاعَ

الدِّينُ يُغَيِّرُ طَبْعَكَ، بَلْ إِنَّ الدِّينَ يُغَيِّرُ الْغَرِيْزَةَ الَّتِي تَتَعَلَّقُ حَتَّى بِطَعَامِكَ
وَشَرَابِكَ يُقِيمُهَا عَلَى الْجَادَّةِ، يَقُولُ أَنَسُ رضي الله عنه: «كُنْتُ أَبْغِضُ الدُّبَاءَ» يَعْنِي:
الْقُرْعَ؛ لَا أَطِيقُهُ لَا يَعْيبُهُ، فَالْإِنْسَانُ يُمَكِّنُ أَنْ يُقْبَلَ عَلَى طَعَامٍ يُحِبُّهُ، وَيُمْكِنُ أَنْ
يُدْبِرَ وَيُعْرِضَ عَنِ طَعَامٍ لَا يُحِبُّهُ لَا يَضُرُّهُ لَا فِي الشَّرْعِ، وَلَا فِي الْعُرْفِ بِشَرْطِ أَنْ
لَا تَذُمَّهُ؛ لِأَنَّ نَبِيَّنَا صلوات الله وسلاماته كَانَ إِذَا عُرِضَ عَلَيْهِ طَعَامٌ لَمْ يَشْتَهِهِ أَعْرَضَ عَنْهُ، وَلَكِنْ لَا
يُذَمُّهُ حَتَّى إِنَّهُ إِذَا طُلِبَ مِنْهُ أَنْ يَذُمَّهُ أَبِي، كَمَا جُعِلَ الضَّبُّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَعْرَضَ عَنْهُ،
فَقَالُوا: حَرَامٌ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «لَا، وَلَكِنَّهُ طَعَامٌ لَمْ أَجِدْهُ بِدِيَارِ قَوْمِي، فَأَجِدُ نَفْسِي تَعَافُهُ».

لَمْ أَعْتَدْ عَلَيْهِ فَلَا تُقْبَلُ نَفْسِي عَلَيْهِ، خَالِدٌ رضي الله عنه وَخَالَتُهُ زَوْجُ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته،
وَكَانَتْ الضَّبَابُ قَدْ أَهْدَيْتِ مِنْ أَحْوَاتِهَا إِلَى النَّبِيِّ صلوات الله وسلاماته فَلَمَّا أَعْرَضَ عَنْهُ سَأَلَ
خَالِدٌ: حَرَامٌ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: لَا، وَذَكَرَ الْعِلَّةَ.. الْعِلَّةُ لَا تَتَعَلَّقُ لَا بِأَمْرِ عَقْدِي، وَلَا شَرْعِي، وَلَا طَبِي،
وَلَكِنْ طَعَامٌ لَا أَجِدُهُ فِي دِيَارِ قَوْمِي، فَأَجِدُ نَفْسِي تَعَافُهُ.

لَا شَيْءَ فَاجْتَرَهُ خَالِدٌ، فَأَكَلَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته!

شَيْءٌ لَا يَعْيبُ أَنَّكَ تُحِبُّ طَعَامًا، أَوْ لَا تُحِبُّهُ، وَلَكِنْ لَا تَذُمَّهُ، لَا تَفْرَمِنْهُ.

يَقُولُ أَنَسُ رضي الله عنه: «كُنْتُ أُبْغِضُ الدُّبَاءَ»: أَكْرَهَهَا، أَمْقَتْهَا حَتَّى رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلوات الله وسلاماته عليه يَتَّبَعَهَا فِي جَوَانِبِ الْقِصْعَةِ، يُحِبُّهَا فَأَحْبَبْتُهَا، هَذَا أَمْرٌ تَغْيِيرُهُ كَالْمُسْتَحِيلِ تَحَوُّلٌ مِنْ كُرْهِ طَعَامٍ وَبُغْضِهِ إِلَى مَحَبَّتِهِ هَكَذَا، وَلَكِنْ عَلَى حَسَبِ فِعْلِ الْحَبِيبِ، فَانْسُ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلوات الله وسلاماته عليه يَتَّبَعُ الدُّبَاءَ فِي جَوَانِبِ الْقِصْعَةِ يُحِبُّهَا أَحْبَبْتُهَا.

الإِسْلَامُ يُغَيِّرُكَ حَتَّى فِي هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي تَرَاهَا مُسْتَحِيلَةً، الرَّجُلُ الْأَعْرَابِيُّ الَّذِي جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلوات الله وسلاماته عليه فَقَدَّمَ إِلَيْهِ حِلَابٌ فَشَرِبَهُ، وَآخَرَ فَشَرِبَهُ حَتَّى شَرِبَ سَبْعَةً.

الْحِلَابُ: الإِنَاءُ الَّذِي تُحَلَبُ فِيهِ النَّاقَةُ، وَقَدْ يَكُونُ كَبِيرًا، فَقَدَّمَ إِلَيْهِ حِلَابٌ قَدْ أَمْتَلَأَ لَبْنًا، فَشَرِبَهُ فَلَمَّا رَأَوْهُ لَمْ يَشْبَعِ، قَدَّمُوا لَهُ ثَانِيًا، وَثَالِثًا إِلَى سَبْعَةِ فَشَرِبَهَا جَمِيعًا، كَانَ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ كَافِرًا، وَصَنَعَ مَا صَنَعَ فِي حَالِ كُفْرِهِ، بَاتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَدِينَةِ النَّبِيِّ، فَأَصْبَحَ مُسْلِمًا، فَقَدَّمَ إِلَيْهِ حِلَابٌ فَشَرِبَهُ، وَقَدَّمَ إِلَيْهِ ثَانٍ فَلَمْ يَتِمَّهُ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلرَّسُولِ صلوات الله وسلاماته عليه قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْرٌ عَجِيبٌ وَقَعَ مَعَ هَذَا الرَّجُلِ فَمَا التَّفْسِيرُ؟

قَالَ: «الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ».

مَا الْعَلَاقَةُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْأَمْعَاءِ؟!!

وَمَا الْعَلَاقَةُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْأَمْعَاءِ؟!!

عَلَاقَةٌ وَطِيْدَةٌ هُوَ الْإِيْمَانُ، الدِّينُ يُغَيِّرُكَ فَإِذَا اعْتَدَرْتَ بِأَنَّ طَبْعَكَ هَكَذَا، كَانَ هَذَا الْعُذْرُ أَقْبَحَ مِنَ الذَّنْبِ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ أَنْ يُغَيِّرَكَ الدِّينُ، أَنْتَ تَقُولُ: أَنَا غَضُوبٌ، أَنَا لَا أَتَحَمَّلُ، مَنْ قَالَ لِي كَلِمَةً رُبَّمَا فُؤِمْتُ ثَائِرًا فَقَتَلْتُهُ، مَا شَاءَ اللَّهُ هَذَا دِينُكَ؟

هَذَا مَا يَحْكُمُكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَهَدْيِ الرَّسُولِ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ؟

مَاذَا أَفَادَكَ الدِّينُ إِذْنُ؟

إِذَا قِيلَ لَكَ: هَذَا الْأَمْرُ لَا يَجُوزُ بِدَلِيلٍ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ، وَأَنْتَ تَقُولُ: أَفْعَلُهُ.

تَفْعَلُهُ غَلَبَةَ نَفْسٍ قَدْ يَقَعُ شَهْوَةٌ لَا تَقْدِرُ عَلَى صَدِّهَا قَدْ يَقَعُ، وَمِنْ وَرَاءِهَا الْمَتَابُ وَالِاسْتِغْفَارُ وَالْبُكَاءُ، أَمَا أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ عُذْرِكَ، وَأَنْكَ تَقُولُ: لَا أَسْتَطِيعُ.

كَيْفَ لَا تَسْتَطِيعُ؟!

وَمَاذَا صَنَعَ فِيكَ الدِّينُ؟!

الدِّينُ قَانُونُ اللَّهِ الَّذِي يَضْبِطُ الْإِنْسَانَ فِي جَمِيعِ حَرَكَةِ حَيَاتِهِ، وَفِي سُكُونِهِ، الدِّينُ يَضْبِطُ حَرَكَتَكَ حَتَّى وَأَنْتَ نَائِمٌ، إِذَا نِمْتَ تَنَامَ عَلَى جَنْبِكَ الْأَيْمَنِ مُتَوَضِّئًا، وَتَضَعُ كَفَّكَ الْيَمْنَى تَحْتَ خَدِّكَ الْأَيْمَنِ، وَتَأْتِي بِالْأَذْكَارِ، وَيَكُونُ مَا يَكُونُ مِنَ الذِّكْرِ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ فَتَنَامُ عَلَى ذِكْرٍ، فَإِذَا مَا تَعَارَّ الْمَرْءُ بِاللَّيْلِ، وَقَلِقَ وَانْتَبَهَ لَهُ

ذَكَرَهُ عِنْدَ الْإِسْتِيقَاطِ، فَإِذَا نَامَ نَامَ مُجَدِّدًا عَلَى ذِكْرِهِ، وَإِذَا قَامَ يَقُومُ عَلَى
الْإِسْتِذْكَارِ، وَإِذَا مَا قَامَ مِنْ مَنَامِهِ لَا يَضَعُ يَدَيْهِ فِي الْإِنَاءِ الَّذِي يَتَوَضَّأُ مِنْهُ، أَوْ
يَشْرَبُ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدَاهُ، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَا يَنَامُ عَلَى
بَطْنِهِ؛ فَإِنَّهَا نَوْمَةُ الشَّيْطَانِ.

مَحْكُومَةٌ أُمُورُنَا كُلُّهَا حَتَّىٰ فِيمَا تَرَاهُ فِي نَوْمِكَ حَكَمَهُ، مَا تَرَاهُ فِي نَوْمِكَ
حَكَمَهُ رَبُّكَ، الرُّؤْيَا لَهَا قَانُونٌ شَرْعِيٌّ.

حَتَّىٰ هَذِهِ؟

نَعَمْ، يَعْنِي أَنْتَ تَرَى الرُّؤْيَا تَتَكَلَّمُ بِهَا هَكَذَا؟ لَا تَمِيزُ بَيْنَ أَقْسَامِ الرُّؤْيَا الثَّلَاثَةِ
أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ، أَوْ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، أَوْ حُلْمٍ مِنَ الشَّيْطَانِ؟ كُلُّهُ عِنْدَكَ سَوَاءٌ؟ كُلُّهُ
يَتَكَلَّمُ بِهِ؟ أَوْ كُلُّهُ يَكْتُمُ؟ كُلُّهُ يُخَافُ مِنْهُ؟ كُلُّهُ لَا يَلْقَى رَدًّا فِعْلًا شَرْعِيًّا؟

لَا هُنَاكَ تَقْسِيمٌ حَتَّىٰ فِيمَا تَرَاهُ فِي نَوْمِكَ، مَحْكُومٌ بِدَيْنِ رَبِّكَ.

الْمَسْأَلَةُ لَيْسَتْ كَمَا يَظُنُّ الْمُسْلِمُونَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ، فَإِنَّهُمْ يَفْهَمُونَ، وَلَكِنَّ
الْجَمَاهِيرَ الْمُسْلِمَةَ لَمْ تُعَلِّمَ تَعْلِيمًا صَحِيحًا دِينَ اللَّهِ الَّذِي بُنِيَ عَلَى التَّوْحِيدِ
وَالِاتِّبَاعِ، عَلَى كَلِمَتَيْنِ، أَمْرٍ يَسِيرٍ وَقَرِيبٍ.

تَرَى فِي مَنَامِكَ مِنْ تَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِكَ: تَتَحَوَّلُ عَنْ جَنْبِكَ الَّذِي كُنْتَ عَلَيْهِ
إِلَى جَنْبِكَ الْآخَرَ، وَتَتَفَلُّ عَنْ يَسَارِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَتَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَلَا تُحَدِّثُ بِهَا أَحَدًا؛ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّكَ.

انتهى الأمر، لا فزع ولا قلق، ولا توقع لشر في المستقبل، ولا شيء انتهى الأمر؛ «فإنها لا تضرك» قول الصادق المصدوق.

رأيت خيراً: على الضد وحدث بها من أحببت، وحدث بها من أحببت؛ لأن من أبغضت لو حدثته بالرؤيا الصالحة قلبها عليك، يعني تقول له: رأيت كذا وكذا من البشريات، يتصنع البكاء؛ لأنه يبغضك، ويريد أن يدخل الحزن على قلبك، ويقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

تقول: ماذا حدث؟ يقول: هذه رؤيا سيئة؛ سيصيبك ويصيبك.

وهي رؤيا حسنة، فيقول: لا تحدث بها إلا من إلا من تحب.

وأما حديث النفس: فأنت تميزه، يعني تكون مشغولاً بشيء في حياتك، وقبل منامك فترى شيئاً يتعلق بذلك، هذا من حديث النفس لا تلتفت إليه، انظر كيف أراحك!!

حتى فيما تراه في منامك، يا قوم إنه دين الله؛ أنزله الله هداية للعالمين، فهو الذي خلقنا وهو أعلم بما يصلحنا، وهو جل وعلا الذي يعلمنا صلاحنا وما فيه نجاتنا.

تعلموه، تعلموه تعلمًا صحيحًا، دعوكم من المشوشين المهرجين الذين يتكلمون في دين رب العالمين بغير (قال الله.. قال رسوله.. قال الصحابة).

فهؤلاء قطاع الطريق، وهم علماء سوء كما وصفهم الله رب العالمين في

كِتَابِهِ الْمَجِيدِ؛ كَالْكَلْبِ ﴿إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وَكَمَا قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ عَالِمِ السُّوءِ قَالَ: «عُلَمَاءُ السُّوءِ يَقْعُدُ لِلنَّاسِ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الْجَنَّةِ بِأَقْوَالِهِمْ، وَيَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الْجَنَّةِ بِأَفْعَالِهِمْ، كَالْحَجَرِ فِي مَجْرَى الْمَاءِ لَا هُوَ الَّذِي يَشْرَبُ فَيَتَنَفَّعُ، وَلَا هُوَ الَّذِي يَتَنَحَّى حَتَّى يَمُرَّ الْمَاءُ لِيَتَنَفَّعَ الزَّرْعُ وَالنَّاسُ».

فَعَالِمُ السُّوءِ كَالْحَجَرِ فِي مَجْرَى الْمَاءِ، «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ؛ فَاَنْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»، لَا تُلْقِ بِأُذُنِكَ إِلَى كُلِّ قَائِلٍ.. إِلَى كُلِّ نَاعِقٍ يُضِلُّونَكَ.. يَحْرِفُونَكَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَطَالِبِنِي بِالِدَّلِيلِ، يَعْنِي أَنْتَ تَقُولُ: أَلْقِي بِأُذُنِي إِلَى كُلِّ قَائِلٍ وَنَاعِقٍ فَيُضِلُّنِي عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، مِنْ أَيْنَ آتَيْتَ بِهِذَا؟

أَقُولُ لَكَ مِنْ كَلَامِ اللهِ: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]. كَلَامُ رَبِّكَ، وَهُوَ يَقُولُ لَكَ نَصًّا: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ﴾ يَعْنِي: أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ ضَالًّا مُضِلُّونَ، وَهَنَّاكَ فَرَقٌ بَيْنَ الضَّالِّ وَالْمُضِلِّ؛ الْمُضِلُّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ضَالًّا، وَأَمَّا الضَّالُّ فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ضَالًّا فِي نَفْسِهِ غَيْرَ مُضِلٍّ لِغَيْرِهِ، فَاللهُ ﷻ يَقُولُ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ ضَالٌّ مُضِلٌّ بِنَصِّ الْقُرْآنِ: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

«إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ؛ فَاَنْظُرُوا عَنْ مَنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ» هَذَا كَلَامُ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مُقَدِّمَةِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ، وَهُوَ مِنْ كَلَامِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِيمَا اسْتَظْهَرْتَهُ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ.

«إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ؛ فَانظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»، إِنْ لَمْ تَفْعَلْ هَذَا فَدِينُكَ
وَأَخْرَجْتَكَ أَهْوَنُ عِنْدَكَ وَأَرْخَصُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ.

مَثَلًا مِنْ جَسَدِكَ، فَالْإِنْسَانُ عِنْدَمَا يَمْرُضُ يَسْأَلُ عَنِ الطَّبِيبِ الْحَاقِقِ،
وَيَتَفَرَّسُ فِي الطَّبِيبِ الَّذِي يَذْهَبُ إِلَيْهِ، يَعْنِي يَسْأَلُهُ وَرُبَّمَا اخْتَبَرَ طَبِيبَهُ إِذَا لَمْ
يَكُنْ يَعْرِفُهُ يَعْنِي يَذْهَبُ إِلَيْهِ، وَيَسْأَلُهُ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِمَرَضِهِ أَوْ
بِغَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَأْمَنُ عَلَى جَسَدِهِ إِلَّا مَنْ يَرْتَضِيهِ هَذَا فِي جَسَدِهِ، وَرُبَّمَا فِي عِلَّةِ
قَرِيبَةٍ.. أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ لَنَا وَلَكُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ.

فَإِذَا تَعَلَّقَ الْأَمْرُ بِالْجَسَدِ وَهُوَ فَانٍ، بَلْ رُبَّمَا إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ
الصَّلَاحِ انْتَقَلَ مِنْ زَاوِيَةِ الدَّارِ إِلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ وَنَعْمَ الْقَرَارُ.
لَا شَيْءَ.

وَأَمَّا الدِّينُ فَيَسْأَلُ أَيَّ أَحَدٍ، وَأَضْرِبُ لَكَ مَثَلًا تَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مَاسٍ وَقَعَتْ،
وَتَقَعُ، وَسَتَقَعُ إِلَى أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا.

رَجُلٌ عَقَدَ عَلَى امْرَأَةٍ ثُمَّ طَلَّقَهَا طَلَاقًا صَحِيحًا لَمْ يُؤْتِ، وَلَكِنْ أَتَى بِالصَّيْغَةِ
وَالشُّرُوطِ، فَصَارَتْ مُطَلَّقَةً مِنْهُ قَبْلَ الدُّخُولِ، هَذِهِ لَا عِدَّةَ لَهَا، يَعْنِي يُمَكِّنُ أَنْ
تُزَوَّجَ فِي مَجْلِسِ التَّطْلِيقِ، الْمَرْأَةُ الَّتِي عَقَدَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا يُمَكِّنُ أَنْ يُؤْتَى
بِالْمَأْذُونِ؛ لِيُطَلَّقَهَا وَيُزَوَّجَهَا لِأَخْرَفِي نَفْسِ الْمَجْلِسِ لَا عِدَّةَ لَهَا.

فَإِذَا أَرَادَ مَنْ طَلَّقَهَا أَنْ يُرَاجِعَهَا مَاذَا يَصْنَعُ؟ لَا بُدَّ مِنْ عَقْدٍ وَمَهْرٍ جَدِيدَيْنِ؛
لِأَنَّهَا بَانَتْ مِنْهُ بِمَجْرَدِ الطَّلَاقِ، وَهَذَا أَيْضًا يَقَعُ عِنْدَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ عَلَى الْمُطَلَّقَةِ

الرَّجْعِيَّةَ يُطَلِّقُهَا، وَتَذْهَبُ إِلَى بَيْتِ أَبِيهَا، وَتَبْقَى سَنَةً فَإِذَا ذَهَبَ لِيُرْجِعَهَا أَرْجَعَهَا مِنْ غَيْرِ عَقْدٍ وَلَا مَهْرٍ مَعَ أَنَّهَا بَانَتْ مِنْهُ، لَمْ تَصِرْ مُطَلَّقةً رَجْعِيَّةً هِيَ بَانَتْ مِنْهُ، وَلَهَا بَعْدَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ أَنْ تَتَزَوَّجَ غَيْرَهُ، فَإِذَا أَرَادَ هُوَ أَنْ يُرْجِعَهَا لَا يُرْجِعُهَا بَعْدَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ هَكَذَا.

أُمُورٌ كَثِيرَةٌ تَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا: أَوْلَادُ زِنَا، وَلَا أَحَدٌ يَبَالِي؛ لِمَاذَا يُسْأَلُ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ؟

يُسْأَلُ عَنْ زَرْعٍ وَقَلْعٍ وَمَالٍ وَثِيَابٍ، وَفُلَانٌ اشْتَرَى، وَفُلَانٌ بَاعَ!!

مَا لَكَ؟!

التَفَتَ لِنَفْسِكَ.

اتَّقِ اللَّهَ رَبَّكَ، فَالْمُطَلَّقةُ قَبْلَ الدُّخُولِ يُطَلِّقُهَا زَوْجُهَا، وَيَذْهَبُ إِلَى جَاهِلٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فَيَسْأَلُ هَذَا الْجَاهِلَ: طَلَّقَ امْرَأَتَهُ قَبْلَ الدُّخُولِ، وَيُرِيدُ أَنْ يُرْجِعَهَا.

يَقُولُ لَهُ: أَعْطِنِي خَمْسَةَ جُنِيهَاتٍ، فَيَأْخُذُهَا، فَيَجْعَلُهَا فِي حَافِظَتِهِ، ثُمَّ يَشْتُمُهُ! لَا بُدَّ عِنْدَ إِرْجَاعِ الْمُطَلَّقةِ طَلَاقًا رَجْعِيًّا مِنَ الشَّتْمِ يَشْتُمُهُ وَرُبَّمَا ضَرْبُهُ، وَالنَّاسُ يَسْتَمْلِحُونَ خَاصَّةً أَهْلَ الْمَرْأَةِ زِدِّيَا سَيِّدَنَا الشَّيْخُ.. خُذِ النَّعْلَ، وَاضْرِبِ الرَّأْسَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ فِيهِ!! ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: اذْهَبْ فَأَرْجِعْ زَوْجَتَكَ!!

عَقْدَ لَهُ؟

لَا.

طَالِبُهُ بِمَهْرٍ؟

لَا.

كَيْفَ يُرْجِعُهَا لَهُ، وَهِيَ أَجْنَبِيَّةٌ عَنْهُ؟

بِأَيِّ صُورَةٍ؟

لَا يَحِلُّ، وَيَحْيَا مَعَهَا رُبَّمَا سِتِّينَ عَامًا، خَمْسِينَ عَامًا، وَيُنْجِبُ مِنْهَا الْبَنِينَ
وَالْبَنَاتِ، وَيَعِيشُونَ فِي تَبَاتٍ وَنَبَاتٍ، وَكُلُّهُ سِفَاحٌ فِي سِفَاحٍ!!

أَيْشٌ هَذَا؟

أَلَا تَسْأَلُونَ عَن دِينِكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ؟

أَمْرٌ جَدُّ لَا هَزْلَ فِيهِ.

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُبَارِكَ فِيكُمْ، وَأَنْ يَحْفَظَكُمْ، وَأَعْتَدِرُ مِنَ اللَّهِ ﷻ؛ لِأَنِّي خَرَجْتُ
عَنِ الْمَوْضُوعِ، وَلَمْ أَخْرُجْ فِي الْحَقِيقَةِ، هَذَا عِنْدِي أَهَمُّ بِكَثِيرٍ جَدًّا مِنَ الْأُمُورِ؛
هَذَا ضَبْطٌ لِلنَّفْسِ الْمُسْلِمَةِ، عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ.

هَذَا هُوَ الْأَصْلُ إِذَا اسْتَقَامَ هَذَا اسْتَقَامَتْ جَمِيعُ الْأُمُورِ بَعْدُ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَقِمِ
فَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْحِرَافَ يَبْدَأُ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ جَدًّا، وَمَعَ الْوَقْتِ يَصِيرُ شَيْئًا كَبِيرًا
جَدًّا، وَالْمِثَالُ كَمَا كُنْتُ أَقُولُ: لَوْ أَنَّكَ وَقَفْتَ الْآنَ مُتَّجِهًا إِلَى قِبْلَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فِي
الصَّلَاةِ فَانْحَرَفَ الْإِنْسَانُ عَنِ عَيْنِ الْكُعْبَةِ لَوْ كَانَ فِي الْحَرَمِ عِنْدَ عَيْنِ الْكُعْبَةِ، أَمَا

هَنَا فِي الْجِهَةِ، وَجِهَتُنَا بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ فَقِبْلَةُ أَهْلِ مِصْرَ الْجَنُوبِ الشَّرْقِيَّ،
مَسْأَلَةٌ يَمِينٍ قَلِيلٍ، يَسَارٍ قَلِيلٍ وَكَذَا، هَذَا كُلُّهُ يَعْنِي لَا يَتَوَقَّفُ عِنْدَهُ، اسْتِخْدَامُ
الْوَسَائِلِ الْحَدِيثِيَّةِ، وَأَنَّ هَذِهِ عَيْنُ الْكَعْبَةِ، لِمَاذَا تُطَالِبُ النَّاسَ بِمَا لَا يَلْزَمُهُمْ؟

إِنَّمَا الْقَصْدُ إِلَى عَيْنِ الْكَعْبَةِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْكَعْبَةِ عِنْدَمَا تَكُونُ فِي الْبَيْتِ
الْحَرَامِ، وَأَمَامَكَ الْكَعْبَةُ إِيَّاكَ أَنْ تَنْحَرِفَ عَنْهَا، وَيَصْدُقُ عَلَيْهَا الْمِثَالُ الْآنَ:
لَوْ أَنَّكَ فَقَدْتَ هَذَا تَدْرِيحِيًّا تَقِفُ وَانْحَرَفْتَ عَنِ الْأَصْلِ عَنِ الْخَطِّ الَّذِي
يَصِلُ بَيْنَ مَا بَيْنَ الْقَدَمَيْنِ، وَذَاتِ كَعْبَةِ رَبِّكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى انْحَرَفْتَ عَنْهَا دَرَجَةً
مِنَ الْمُنْقَلَةِ - كَمَا يَقُولُونَ - دَرَجَةً وَاحِدَةً، صَارَ عِنْدَكَ خَطٌّ آخَرٌ، امْدُدْ هَذَا
الْخَطَّ، كُلَّمَا مَدَدْتَهُ بَعُدَتْ الْمَسَافَةُ بَيْنَ نِهَائِيَّتِهِ، وَمَا انْتَهَى إِلَيْهِ الْخَطُّ الْوَأَصِلُ
إِلَى الْكَعْبَةِ صَحِيحٌ أَوْ خَطَأٌ؟

صَحِيحٌ، كَذَلِكَ الْإِنْحِرَافُ فِي الْأُمُورِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْعَقَدِيَّةِ يَبْدَأُ بِسِيرًا، ثُمَّ
يَزْدَادُ مَعَ الْوَقْتِ.

فَاخْرِضْ عَلَيَّ صِحَّةَ الْبِدَايَةِ؛ أَهَمُّ شَيْءٍ صِحَّةُ الْبِدَايَةِ «أَوْتِينَا الْإِيمَانَ قَبْلَ
الْقُرْآنِ»، وَضِعُوا عَلَيَّ الطَّرِيقَ فَاَنْطَلِقُوا، وَالْغَايَةُ وَاحِدَةٌ، أَمَا أَنْ تَعُوجَّ بِكَ السُّبُلُ،
فَهَذَا شَيْءٌ خَطِيرٌ.

وَعِنْدَنَا مَا هُوَ أَوْضَحُ مِنَ الْمِثَالِ الْمَضْرُوبِ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ أَحْمَدَ
فِي الْمُسْنَدِ، وَعِنْدَ غَيْرِهِ أَيْضًا بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَا

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ عَلَى الْأَرْضِ، إِذْ خَطَّ خَطًّا مُسْتَقِيمًا - خَطُّ مُسْتَقِيمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يَصِلُ إِلَيْهِ يَبْدَأُ مِنْ عِنْدِهِ، خَطُّ خَطًّا مُسْتَقِيمًا - وَجَعَلَ عَلَى جَانِبِي هَذَا الْخَطِّ خُطُوطًا قَصِيرَةً تَعَامَدَتْ عَلَى هَذَا الْخَطِّ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ، وَهَذِهِ سُبُلٌ عَلَى رَأْسِ كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وَقَرَأَ الْآيَةَ.

إِذَنْ: سَبِيلُ اللَّهِ وَاحِدٌ لَا يَتَعَدَّدُ، الْحَقُّ وَاحِدٌ لَا يَتَعَدَّدُ، لَيْسَ هُنَاكَ حَقَّانِ، الْحَقُّ وَاحِدٌ، الْبَاطِلُ مُتَعَدَّدٌ، هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ.. سَبِيلُ اللَّهِ وَاحِدٌ.. قَالَ اللَّهُ.. قَالَ رَسُولُهُ..

قَالَ الصَّحَابَةُ لَيْسَ بِالْتَّمْوِيهِ

مَا الْعِلْمُ نَضَبَكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةً بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ قَوْلِ فُقَيْهِ

الْحَقُّ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَفِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْكِتَابِ عَلَى مَرَادِ اللَّهِ، وَفِي السُّنَّةِ عَلَى مَرَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْأَمْرُ قَرِيبٌ لَيْسَ فِيهِ مَشَقَّةٌ، لَيْسَ فِيهِ صُعُوبَةٌ لَيْسَ فِيهِ عَنَتٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ كَلَّفَنَا وَمَا دَامَ كَلَّفَنَا، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُكَلِّفُ إِلَّا بِمَا يُسْتَطَاعُ، لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ ﷻ إِلَّا بِمَا يُسْتَطَاعُ، يَعْنِي مَا دَامَ كَلَّفَكَ فَلَا بُدَّ أَنْ مَا كَلَّفَكَ بِهِ هُوَ فِي مَقْدُورِكَ، وَهُوَ مَيْسَّرٌ لَكَ، وَأَنْتَ مَيْسَّرٌ لَهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَقْدُورِكَ لِأَمْرٍ عَارِضٍ أَتَتْكَ الرُّخَصُ، وَأَمَّا الْأَصْلُ فَهُوَ فِي مَقْدُورِكَ، وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، وَيُكَلِّفُكَ بِمَا تَسْتَطِيعُ.

اللَّهُ لَا يُكَلِّفُنَا بِمَا لَا نَسْتَطِيعُ، فَكَلَّفْنَا بِالْإِيمَانِ، فَالْإِيمَانُ مُسْتَطَاعٌ مُيسَّرٌ سَهْلٌ،
وَلَكِنْ هِدَايَةٌ عَامَّةٌ، وَهِدَايَةٌ خَاصَّةٌ، هِدَايَةٌ عَامَّةٌ يُدُلُّكَ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ،
وَيُحَذِّرُكَ مِنَ الطَّرِيقِ الْمَعْوِجَةِ، وَيُبَيِّنُ لَكَ.

وَيَقُولُ: أَنْتَ بِالْخِيَارِ؛ لِأَنَّكَ مُكَلَّفٌ، وَهِيَ الْحِكْمَةُ مِنْ خَلْقِكَ، أَنْتَ لَسْتَ
كَالْمَلَائِكَةِ، لَا تَعْصِي اللَّهُ مَا أَمَرَكَ، وَلَا كَالشَّيَاطِينِ، لَا تُطِيعُ اللَّهُ مَا أَمَرَكَ، وَلَكِنْ
أَنْتَ بَيْنَ هَاتَيْنِ، وَأَعْطَيْتَكَ مَشِيئَةً تَحْتَ مَشِيئَتِي.

فَيَقُولُ لَكَ: هَذِهِ هِدَايَةٌ عَامَّةٌ وَأَنَا أَعْلَمُ اخْتِيَارَكَ، وَلَكِنِّي لَا أَكَلِّفُكَ بِمَا أَعْلَمُ
قَبْلَ أَنْ تَفْعَلَ.

فَلَا يُحَاسِبُنَا عَلَى سَابِقِ عِلْمِهِ فِينَا - مِنْ رَحْمَتِهِ -، وَلَكِنْ حَتَّى نَفْعَلَهَا، فَتَكُونَ
الْمَسْئُورِيَّةُ - حِينَئِذٍ - وَاقِعَةً عَلَى أُمَّهَاتِ رُءُوسِنَا.

أَنْتُمْ فَعَلْتُمْ، وَاخْتَرْتُمْ وَشِئْتُمْ، وَأَنَا شِئْتُ مَا شِئْتُمْ، وَالْمَشِيئَةُ لِي مِنْ قَبْلُ
وَمِنْ بَعْدُ.

فَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يُؤْتِيكَ الْهِدَايَةَ مِنَ الْعَدَمِ وَلَمْ يَقَعْ فِيهَا إِخْلَالٌ، وَلَا تَقْصِيرٌ
قَطُّ، وَلَا حُجَّةَ لِلْبَشْرِ عَلَى اللَّهِ فِي مَسْأَلَةِ الْبَيَانِ، أَرْسَلَ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ
وَوَضَعَ الْمَنْهَجَ وَأَقَامَ السَّبِيلَ وَبَيَّنَّ الصِّرَاطَ، وَجَعَلَ النَّفْسَ مُسْتَعِدَّةً لِلْخَيْرِ
وَالشَّرِّ، وَتَرَكَكَ لِاخْتِيَارِكَ.. اخْتَرْتَ الْحَقَّ وَالْهُدَى وَالرَّشَادَ تَأْتِكَ الْهِدَايَةُ
الْخَاصَّةُ؛ لِذَلِكَ تَجِدُ هَذَا فِي كِتَابِ رَبِّكَ، وَإِنْ لَمْ تَفْهَمْ هَذِهِ حَقَّ الْفَهْمِ يُشْكَلُ

عَلَيْكَ الْمَوْضِعُ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]. فَأَثَبْتَ لَهُمْ جِهَادًا فِيهِ، فِي دِينِهِ جِهَادٌ، وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا.. قَالَ: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فَيَقُولُ الْإِنْسَانُ: سُبْحَانَ اللَّهِ!! مِنْ أَيْنَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ.. فِي ذَاتِ اللَّهِ.. فِي

دِينِ اللَّهِ؟

ثُمَّ يَقُولُ: لَنَهْدِيَنَّهُمْ.. لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا.

وَهَذَا الْإِهْتِدَاءُ، وَهَذَا الْجِهَادُ أَلَمْ يَكُنْ بِإِهْتِدَاءٍ؟

كَيْفَ جَاهَدُوا وَهُمْ غَيْرُ مُهْتَدِينَ؟

هُدَايَةٌ عَامَّةٌ.

فَلَمَّا اسْتَجَابُوا، وَامْتَثَلُوا وَأَطَاعُوا جَاءَتْهُمْ الْهُدَايَةُ الْخَاصَّةُ، وَكَانَ الْمَثَلُ

عَلَيْهَا مَضْرُوبًا.

يَعْنِي إِذَا نَزَلَتْ بَلَدًا تَنْزِلُهُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ تَقْصِدُ أَحَدًا أَوْ مَكَانًا، فَلَقِيتَ رَجُلًا

مَسْئُولًا فِي الشَّرْطَةِ أَوْ فِي غَيْرِهَا فَقُلْتَ: هَذَا مَأْمُونٌ عَلَى السُّؤَالِ، فَذَهَبَتْ لَهُ

وَقُلْتَ لَهُ: مَعِيَ هَذَا الْعُنْوَانُ.. أُرِيدُ أَنْ أَصِلَ إِلَى فُلَانٍ، أَوْ إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا.

فَقَالَ لَكَ: خُذْ فِي هَذَا السَّمْتِ، ثُمَّ مِلْ يَمِينًا فَيَسَارًا، فَيَسَارًا فَيَمِينًا سَتَجِدُ

الْمَوْضِعَ، وَمَعَ التَّعْقِيدِ فِي الْوَصْفِ، وَصُعُوبَتِهِ فِي التَّنْفِيدِ؛ لِأَنَّكَ فِي بَلَدٍ

غَرِيبٍ، تَقُولُ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، وَبَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، لَقَدْ سَخَّرَكَ اللَّهُ لِي رَحْمَةً

بي، وَمَا كُنْتُ مَا أَدْرِي مَا أَصْنَعُ لَوْ لَمْ أَلْفَكَ وَوَجْهَكَ الَّذِي يَأْتِي بِالْخَيْرِ،
فَقَبِلْتُ مَا قَالَ مِنَ الْإِرْشَادِ الَّذِي أَرَشَدَكَ إِلَيْهِ، تَلَقَّيْتَهُ وَقَبِلْتَهُ بِقَبُولِ حَسَنِ،
فَيَقُولُ: وَاللَّهِ إِنَّكَ لِحَسَنِ الْخُلُقِ، وَلَا أَخَذَنَّا بِيَدِكَ أَوْ أُرْسِلُ مَعَكَ مَنْ يُوَصِّلُكَ
فِيَنَّ فِي الطَّرِيقِ مَا يُخَافُ.

هَذِهِ هِدَايَةٌ خَاصَّةٌ، لَمْ تَكُنْ مَبْدُوءَةً قَبْلَ أَنْ تَقْبَلَ أَنَّتِ الْهِدَايَةَ الْعَامَّةَ،
فَالْإِنْسَانُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَقْبَلَ هُدَى اللَّهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ
الْهِدَايَةَ هِدَايَةَ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَالضَّمِيرِ لِتَسْتَقِرَّ.

نَحْنُ فِي مُجْتَمَعٍ -بَلْ فِي عَالَمٍ- مَائِجٍ بِمَا فِيهِ مِنَ الْفِتَنِ وَالْمِحَنِ وَالْقَلِقِ
وَالْإِضْطِرَابِ، كُلُّ مُنْصِفٍ مَهْمًا أَوْتِي مِنْ عِلْمٍ وَحَالٍ وَعَمَلٍ يَقُولُ: أَحَاوِلْ أَنْ
تَكُونَ صَالِحًا مُصْلِحًا، أَحَاوِلْ أَنْ أَكُونَ إِنْسَانًا -إِنْسَانًا- كَمَا أَرَادَ اللَّهُ لَا
أَسْتَطِيعُ!! أَفْشَلُ!!

دَائِمًا أَفْشَلُ؛ لِأَنِّي أُرِيدُ الْمُثْلَ، وَأَنْقَطِعُ دُونَ الْمُثْلِ، فَمَهْمًا حَاوَلْتُ أَقْطَعُ
دُونَ الْوُصُولِ، الضَّغْطُ شَدِيدٌ، الْهُمُومُ كَثِيرَةٌ، الْإِضْطِرَابَاتُ، وَالتَّمَوُّجَاتُ، فِي
أُمُورِ الْإِعْتِقَادِ بَيْنَ الْخَلْقِ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَبَيْنَ الْعَوَامِّ الْمَسَاكِينِ الْمُتَلَقِّينَ الْقَابِلِينَ،
تَوَارَدُ الْأَفْكَارِ، تَزَاحَمُ الصُّورِ، كَثْرَةُ الْأَحْدَاثِ يُنْسِي بَعْضُهَا بَعْضًا، إِضْطِرَابٌ
وَقَلَقٌ، هُمُومٌ وَأَحْزَانٌ، وَفَشَلٌ مُتَلَاحِقٌ، مَاذَا نَصْنَعُ؟

نُلْقِي حُمُولَنَا عَلَى بَابِ التَّوَكُّلِ عَلَى رَبِّنَا.

أَنْتَ وَحَدَّكَ مَنْ يَأْخُذُ بِأَيْدِينَا، مَنْ يَهْدِي قُلُوبَنَا، مَنْ يُقِرُّ أَرْوَاحَنَا، فَقُلُوبُنَا غَيْرُ
مُسْتَقَرَّةٍ، أَرْوَاحُنَا هَائِمَةٌ، عُقُولُنَا مُضْطَرِبَةٌ، أَفْكَارُنَا مُشَوَّشَةٌ، أَبْدَانُنَا عَلِيلَةٌ، أَحْوَالُنَا
مَهْزُومَةٌ، هُمُومُنَا كَثِيرَةٌ، مَاذَا نَصْنَعُ؟

لَيْسَ لَنَا سِوَاكَ.

خُذْ بِأَيْدِينَا إِلَيْكَ، أَخَذَ الْكِرَامِ عَلَيْكَ.

اللَّهُمَّ لَا تُدِقْنَا طَعْمَ أَنْفُسِنَا.

اللَّهُمَّ لَا تُدِقْنَا طَعْمَ أَنْفُسِنَا.

اللَّهُمَّ لَا تُدِقْنَا طَعْمَ أَنْفُسِنَا.

اشْغَلْنَا بِكَ عَنَّا... اشْغَلْنَا بِكَ عَنَّا... اشْغَلْنَا بِكَ عَنَّا....

اشْغَلْنَا بِكَ عَن جَمِيعِ مَنْ وَمَا سِوَاكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وَأَحْسِنُ خِتَامَنَا؛ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْبُرُّ الْكَرِيمُ، وَالْجَوَادُ الرَّحِيمُ.

